

# الأريكة العربية في التحليل النفسي و فضاؤها النفسي والفلسفي والاجتماعي



**الدكتور زكريا زيعور**

طبّ عام - الجامعة الأميركية في بيروت  
طبيب نفسي مقيم - دالاس - تكساس

**الدكتور علي زيعور**

أستاذ التحليل النفسي والفلسفات النفسية  
أستاذ العلاجات الفلسفية

## المحتويات

11	استهلال: «المعلم» الدكتور زيعور أو الأريكة العربية في التحليل النفسي الرئيس الدكتور جمال التركي
15	تقديم
17	إبانة
23	الكتيب الأول
25	الوعي والسلوك أو العقل والأدوات الجرفية في الأربعينيات الماضية
33	تجربة المراهقة وتمرد الشباب تحولاً داخل العقل والحقل وتغييراً في الحضارة
45	سكب التجربة الجامعية ثم سبكها في حبات عنقود أو كشذرات
75	فقرات أو خرزات الفضاء النفسي والفلسفي والعلاجي
93	فقرات الفضاء الفلسفي والعلاج بالفلسفي للتحليل والمحلل
111	حالة عيادية. المعجزة والمختلقة كما الفحولية الخارقة وسائر أخواتها
	حالة تحليل نفسية. الدفاعي واللاوعي والمحجوب في المعجزة
115	والخارقة والفحولية

- تحوُّل مشاعر المرارة والوعي بالفشل والانجراح إلى عقدة نفسية  
 125 ..... متحكِّمة ولا واعية
- 135 ..... الصحة الحضارية عنوان الأنا الأعلى أو مقام الذات المثالية
- 145 ..... أشمولة
- 147 ..... الكُتَيْب الثاني
- 149 ..... التغيُّر والتغيير غيرة وحسدٌ وطمعٌ
- 167 ..... الأريكة العربية في التحليل النفسي
- 177 ..... فلسفة التحوُّل ثم التفسير فالتغيير
- 183 ..... مستويات متراصة متناضحة داخل الأنا والأنث والتَّخْناوية
- 187 ..... تذكُّر حوادث كَوَانَةٍ ونسيان تجارب وردود كارثية
- 209 ..... تواصلية الفرد مكوَّن في التجربة الشخصية وأداة تاريخه
- 221 ..... سَكَبُ التجربة الشخصية أو تأرخه الذات ضمن مجالها في مرويَّات
- 231 ..... الأقصوصة حمالةً للتجربة الشخصية وللتأرخة الاجتماعية والعامية
- 239 ..... التحليل النفسي للصياغة الإحصافية والرواية البوليسية والتجسسية
- 245 ..... التغييرانية نظرية في التغيُّر الأعم - من الدَّرة إلى المطلق
- 249 ..... الكُتَيْب الثالث
- 251 ..... التجربة الشخصية مكوَّن للتأرخة
- 257 ..... القول التحليلي في الحُلم وأخواته ضمن حقول اللاوعي الثقافي
- 265 ..... حالات عيادية أو تحليلتُفسية يُظنُّ أنها قُشورية

- 269 ..... القول النفسي الفلسفي في الجنس وخطاب الذكورة - الأثوية
- 275 ..... القول النفسي الفلسفي في العائلة الطركية والعلائقية السيطرية كما التضافرية
- 279 ..... القول التحليلي النفسي وقضاؤه الفلسفي في الأدب والشعر والفن
- 283 ..... القول في التجربة الراهنة مع الفلسفة والثربويات النفسية والتّمدرّس
- 289 ..... منافع وإثراءات الفضاء الفلسفي للأريكة



## استهلال

### «المعلم» الدكتور زيعور أو الأريكة العربية في التحليل النفسي

الرئيس الدكتور جمال التركي

الكتاب الذي بين أيدينا عن أحد المكرمين، حلق عالياً في سماء علوم النفس وشعابها، منيراً عتمة نفوس أبخست ظلماً الجهل والتخلف حقها في إنسانية كريمة، جمع فيه الكاتب عصارة «مسيرة عُمر» من إبداع العطاء العلمي، فجاء شديد الكثافة، حاوياً جهد نصف قرن من العمل الدؤوب في مجاهل نفوسنا. عندما تُعتق السنوات التجربة، تتكف أبعاد الكلمة لتصبح متعددة الدلالات، عميقة الأغوار، ينوء بفك شفرتها متمرس اللغة والعلوم الفلسفية والنفستحليلية... أتى يتسنى ذلك لمن هو في دوامة الممارسة الطبفسية، البعيد عن عالم الفلسفة وشعاب التحليلنفسية، لذلك قد لا تراني الشخصية المناسبة لتقديم كتاب بهذا الثراء والغنى عن إبداع «المعلم»... حسبي استهلاله بكلمات، تكون مدخلاً للقارئ العربي، أعرض من خلالها لأهميته وقيمه العلمية.

بين أيدينا كتاب خطه خير خلف عن خير سلف، هو طيبب شاب، يلج بثبات عالم الاختصاص، له من الجرأة والشجاعة ما أهله أن تصدى لعرض «فكر عالم نفسي» ليس من اليسير جمعه، فكيف بالغوص في طبقاته الواحدة تلو الأخرى... نجح، زكريا، إلى حد كبير في عرض ما خلصت إليه أبحاث ودراسات «المعلم» ليختصر الزمن وهو في بداية مسيرته فينهل من معين عصارة فكر علمي عنقته التجربة والمعرفة الممتدة.

شهدت العلوم النفسية منذ مطلع القرن العشرين تطوراً كبيراً تنظيراً وممارسة، إلا أن عقودها كانت عجافاً في أوطاننا العربية، باستثناء قلة قليلة سعت جهدها لتطوير

الواقع النفسي العربي في غياب مؤسسات داعمة ومشجعة، فأنتجت وأبدعت وأثرت... لكن إشعاعها ما كان ليتجاوز حدود أقطارها أغلب الأحيان، مما أعاق تفاعل إبداعها وتربة أوطان عربية أخرى.

إنه في حين كانت تصلنا بيسر مؤلفات علماء النفس الغربيين، كانت شحيحة مؤلفات علمائنا العرب، حتى خلنا أن لا علماء لدينا في حقل اختصاصنا... إلى أن هب إعصار ثورة المعلوماتية، مهدداً خيوط ما نسج وراء ظهورنا في غفلة من الزمن بتهميش كل ما هو عربي، زمن كنا مُغييبين غيبة زادها الجهل والفقر والخرافة بعداً، وبفضل ثورة المعلوماتية هبت علينا إبداعات الفكر النفسي العربي، عندئذ أدركنا أننا لا نعاني عمقاً نفسياً وأن الأمة حبلت بطاقات فذة وعلماء تفوق مكانتهم أحياناً من كنا نعدهم لزمن مراجع الفكر النفسي، وأنه لا فكر إلا فكرهم ولا علم إلا علمهم ولا إبداع إلا إبداعهم... بعد أن رُسم بإحكام نبخس ما هو عربي فينا وإعلاء الغريب فيها.

وكان تهميش حارس الهوية (اللغة) أول المداخل، ليتبعها لاحقاً جهاز القيم والثقافة...

كنا لأمسنا بعضاً من هذا خلال كامل العقد الأول من مسيرة «شبكة العلوم النفسية العربية»، التي أسسناها كمشروع يعمل على إبراز الخصائص المميزة للممارسة النفسية العربية، حيث كانت ردود الأفعال الراضية للمشروع عنيفة من بعض بني جلدتنا المستعربين، المأزومين من إشكالية الهوية والانتماء...

كان «المعلم» ثالث ثلاثة من النفسانيين العرب الذين شاء القدر أن أحظى بشرف التلمذ على أعمالهم وأنا أخطو خطواتي الأولى في الطب النفسي منتصف الثمانينات... زمن كان الجدار الفاصل بين الاختصاص والإبداع العلمي العربي سميكاً جداً... لكن هذا لم يمنع أن تصلنا أحياناً بعض المؤلفات النفسية العربية... وكانت معارض الكتاب فرصتي للتعرف إلى إصدارات «المعلم»، أولها «مذاهب علم النفس»، تبعها بعض إصدارات «التحليل النفسي الإنساني للذات العربية»، فكت أنلقفها كمن عثر على ضالة افتقدتها... لاحقاً بدأت تتضح لي ملامح نسيج حيكت خيوطه وراء غيبتنا الحضارية، وبدأت معها تتشكل ملامح فكرة جنينية، ظلت غائرة أكثر من عقدين إلى أن دكت ثورة المعلوماتية أبواب قلاعنا النفسية المحصنة، التي كنا نعدّها عصية عليها وعلى أدواتها...

ومع المدد المعلوماتي انطلقت مسيرة التأسيس لمشروع «الشبكة» وفي البال «معلم» كان له فضل عليها دون أن يدري، أدركت من خلاله أننا أمة جبلت بطاقات علمية مميزة في حقل الاختصاص... فسحت للقليل الذي وصلني من مؤلفاته في المساحة التي هي جديرة بها، ممثلاً النفس أن أحقق التواصل يوماً معه... إلى أن يشر لي ذلك بعد عدة سنوات من انطلاق الشبكة، الزميل الفاضل، عضو الهيئة العلمية الاستشارية: أ. د. نعيم عطية... فكان التواصل الذي تجاوز العلمي إلى الإنساني الرحب، إلى صداقة راقية أعزت بها، ليصبح نعم السند ونعم الرفيق. وفي الذكرى العاشرة لتأسيس الشبكة، كرمه أهل الاختصاص لكونه من الأوائل الفائزين بلقب «الراسخون في العلوم النفسية». لم تكن سعادتي بهذا التكريم لتقل عن سعادته، لا اعتقادي أننا نفيه والمكرمين بعضاً من حقهم علينا/ على شعبنا/ على أمتنا... وهو ليس أكثر من اعتراف رمزي سعيماً من خلاله إلى رأب صدع انجرحات حضرة أخايد في شموع نحترق لتبهر عتمة ظلمتنا النفسية العربية، مبددة جهالة أمة أراد خالقها أن تكون «خير أمة أخرجت للناس»، لكنها أبت أن تكون...

أثرى «المعلم» الشخصية العربية من منظور نفستحليلفلسفي كما لم يُثرها أحد، إذ قدم للمكتبة النفسية العربية على مدى نصف قرن أعمالاً منارة، سعى لتخليص الشخصية العربية من عقد استحكمت فيها زمن الجهل والتخلف، فسوّتها وأفقدتها خصائصها ومزاياها، حتى غدت باهتة الملامح، مهترزة الكيان، مجردة من مواطن قوتها، تحتفي بسجد ماضٍ تليد عليها تجد فيه بعضاً من رد اعتبار لئرجسية ممرّغة في الوحل.

بهذا الإصدار، الذي قدم فيه الابن، للمتقف العربي وللمهتمين بالعلوم النفسية، عصاراة الإبداع العلمتفسي للأب «المعلم»... لا أعتقد أن تحمّل مسؤولية هذا الإرث العلمي تقف عند حدوده بل تتجاوزه، إلى كل من أهتمهم الصحة النفسية في أوطاننا، بالعمل على تثويره وحرثه وإبراز كنوزه ودرره للحفاظ على وهج «الشعلة» التي أضاءها «المعلم» في زمن عتمة الجهل النفسي العربي منارة، علنا نساهم معه في تبديدها ونسقط بها الأقنعة ونتجاوز بها العقد، فنفتح أبواب العقول الموصدة، ونحرر إنساننا العربي من حواجز سميكة من الوهم، كبّلته وأعاققت مسيرته فنخلف عن ركب حضارة إنسانية أصبح فيها خارج السباق. ذلك أن الرقي المعرفي والعلمي هو السبيل الأوحده



للنهضة واللاحاق بركب حضارة عالمية نحن على الهامش فيها، وفي زمن عولمة شرسة لا تبقي ولا تذر شعارها «لاحاقاً أو انسحاقاً»، إما الالتحاق بركب الحضارة وإما الانسحاق والاضمحلال والتلاشي لمن «تنعموا» بغمس رؤوسهم في التراب.

لا أعتقد أن أمة كرمها الحق بأن اصطفى منها خير خلقه لتبليغ آخر رسالته للعالمين جديرة بهذا المآل، كما لا أعتقد أن «اللغة» اصطفاه عالم الغيب والشهادة بأن نزل بها كتابه الكريم هداية للإنسانية جمعاء، تستحق أن تكون في مرتبة متخلفة في سباق اللغات الضاري، أو أنها قاصرة عن التطور ومتابعة ما يستجد من أحداث علمية متلاحقة لا تكاد تهدأ... «عربياً»: لعلهم يعقلون.

الشكر موصول للدكتور زكريا، أن شرفني بكلمة الاستهلال. الله أسأل أن يزيده و«المعلم» بسطة في العلم والجسم ويمتعهما بالصحة والعافية، وأن يكون قرة عين «معلم» نذر حياته لرفعة العلوم النفسية وخدماتها رقياً بإنساننا.



إته البروفيسور علي زيعور



## تقديم

1 - المفسر، المحلّل والأطروحيّ علي زيعور بدأ بنشر مقالات في التحليل النفسي، وفي النفسانيات وحقول الفلسفة، قبل دخوله إلى جامعة ليون (فرع بيروت، مدرسة الآداب العالية). تحضّل علي ثلاث إجازات، ودبلوم دراسات عليا؛ ثم انتقل إلى السوربون التي كانت معتبرة، في تصورات وطموحاته، القلعة الأخرى، بعد أوكسفورد، الممثلة للفكر اليوناني - العربي - اللاتيني، واليانية المعوّمة للحضارة الغربيّة - العربسلاوية المتواصلة المتداخلة بل والأساسية داخل «الدار العالمية» للحضارة البشرية والفكر المسكوني.

2 - لا مبالغة في القول إنّ تأثيره متشعبٌ داخل تيارات فكرية متنوعة؛ وداخل حقول نفسية، وأخرى فلسفية؛ بل وسياسية اجتماعية كما تنموية وتربوية.

3 - شارك أبوه، داخل الجيش العثماني ومع ضباطه الألمان، في الحرب ضد الإنكليز (معركة قناة السويس، 1922). وهرب أهل قريته إلى حوران في سوريا لدفع الجوع والجراد عنهم.

4 - بدأ بالكتابة باكراً. ومن اهتماماته الأولى، قبل الثامنة عشرة من عمره: الدفاع عن الفصحى، قتال المستشرقين، القبّة العربية جامعة الكوفية والعقال... وقرأ باكراً جداً مقالات أمير بقطر، صبري جرجس، أبو مدين الشافعي، إسحاق رمزي، مصطفى زيور؛ أمّا المجالات التي كان يشتريها مستعملة، فهي: الهلال، علم النفس، كتابي، آخر ساعة، المصوّر... (1).

(1) هنا قال محمد د. - ر. مرحباً: «كثرة أو تنوع الموضوعات التي أثارها وخصّصها المحلّل كما المفكّر زيعور قد تكون أكثر تعقيداً وإقلاقاً من التحليلات والأطروحات والحلول التي «جلبها» وقدمها».

5 - من أولى تجاربه في الحياة السياسية والشؤون العامة «التجربة الناصرية في المذاهبية والضرابية»؛ وهنا أيضاً كان اهتمامه بمذهب فقهي سماه (= الصراطي المحض) المخالي من التديّنات الشعبية الطارئة، ومن أغطية وأردية صوفية وعرفانية، ومن إيمانات باطنية قليلة النفع وكثيرة المبالغة... هنا، فيما بعد، ظهرت إلى العلن «محنة» الدكتور علي زيعور مع رجال الدين والسياسيين... كما كان لصلاته وقرباته مع نافذين تأثير في إبقاء غضب أولئك الرجال مخفياً ومسكوتاً عنه. ولعب، أيضاً، دور الكاتم للعتف لتأجج الحرب الطائفية داخل لبنان، والانشغال العام بالسياسة الطائفية والفتن الداخلية... وقد كتب المعلم علي أنه، ذات يوم، ردّ على من طالب له بمحاكمة «عادلة»: أنت قطبٌ ديني - سياسي وذو «سطوة»؛ وأنا ذو اختصاص ومهنة، ويأحط في الصراطية إن على صعيد السياسة والإدارة أم على صعيد المجتمع والتدين، اللغو والتحليل، التاريخ والفكر والقيم... وتابع قائلاً: التهمة المرفوعة في وجه كتابي «التفسير الصوفي للقرآن عند جعفر الصادق» ليست دقيقة؛ ولا تحترم الحق بالحرية، وبالاستقلال الفكري، والتمايز عن رجال الدين.

«محنة» ذلك الكتاب الصامتة النائمة امتدّت على مساحة عقديّ أو أكثر من السنين، وداخل لبنان المشتعل بنيران الحرب الأهلية... واللافت المفيد، في ذلك الشأن، هو أنّ الظروف الاجتماعية والسياسية الفليقة ساهمت جداً في الإطفاء والتجاوز.

6 - تملّخص مضمونات نشاطه الانتاجي بمقومات أو مبادئ، بأعمدة مؤسسية تأسيسية هي: عدم قتل الأب (= التراث، التاريخ والتجارب المؤسسة)، بل مصالحته واحترامه ضمن تفاهمية ومتكافئة، وداوية تحاورية، تبادلية أو تفاعلية ضرامية ومنفتحة؛ عدم القطعية أو التقلل مع تراب الذات العربية أو أريضها ومجالها الاستراتيجي، مع الدين أو الألوهية أو المطلق والأنث الخالد؛ عدم القطعية مع اللاهوتي أو مع اللاهوت المقارن، والأديان المقارنة؛ عدم القطعية أو الخخلخل والزعرعة للتحناوية، للذات العربية والعربسلامية؛ وجوب إعادة الضبط بتناقح وتواظب للبعد المسكوني إن في الشخصية الفردية أم في المدنيات والتواصلية، وإن في الفكر والمجتمع والحضارة أم في اللغة والفنون والقيم.



## إبانة

1 - السيرة النفسية الاجتماعية لفرد، لعقل أكاديمي أو لقسم تدريسي داخل الجامعة، تكون تأريخاً جماعية شَمَّالة، عامة وكونية. الحفلان يتكاملان ويتواضحان، يتغاذيان ويتناضحان، يتساكنان ويتشاركان.

2 - تاريخ الفرد، الجزء أو العنصر، الحادث المحلي أو النفسي كما الذاتي النزعة، هو أيضاً تاريخ عام وشامل؛ وللفكر والكون، للامة واللغة والحضارة برمتها.

3 - طريقتي في كتابة الفقرات أو المفاصل التالية، أدناه، لا تُلغي الأنا؛ وهي لا تنفّر أو أقله، لا تخشى من الذاتي النزعة (= الذاتاني). فتحن، هنا، لا تغلب الموضوعي النزعة، أو الخصائص والطبيعة والشكل؛ أي إننا لا تُلغي الذاتاني لحساب الموضوعاني. وليس عكس هذه المعادلة خطاءً أو زَلْمِيًّا ولاهي، أصلاً، عطوبة أو فاسدة.

4 - التأريخ الفردية، الرواية أو الأسكوبية (version) لُمر شخص، نافعة وأساسية؛ لكنها لا تحل محل التاريخ الاجتماعي الشامل للجماعة والمجتمع، للتواصلية والأمتي، للمحلي والمسكوني، للاقتصادي والاجتماعي كما للفكري والحضاري.

المُراد هو، في كلام آدمث، أن المناهج، في التشخيص والتمحيص، ثم في التقد والاستيعاب وطرح التغيير، تكون في قطبتين يتكاملان بتفاعل وتناقض متبادلٍ ومتلاقحٍ هما: التجريبي والعقلي الصُرف (النظري، التنظيري، التأملي). إنهما المناهج التطبيقية أو الميدانية والعملية؛ والمناهج التي تُعجل الفكر والتبصر أو التحليل والمقارنة كما الاستقراء والاستنباط، أو المنطق والمناهج الفرضية - الرياضية، وريضة



العلم... وعلى ذلك، فكانَ القول بالعقل العملي والعقل النظري ما يزال سديداً؛ وليس فقط ناقعاً مريباً؛ فذاك هو نفسه، بالتالي، القول بالفلسفة العملية والفلسفة النظرية، القول بالفعل والمعيار والخير، والقول بالعقل والحقيقة، وبالآجهزة أو القوانين الفكرية.

5 - تكون الذكريات غير منظّمة. وصياغتها الإحصافية ترتيبٌ وتعضية، تَمَسُّقٌ واعتمادٌ للتسلسل والمنطقي والتبويب. إذا حَدَّثَ الإنسانُ عن ذكرياته فليس واجباً، أو لزاماً عليه أن يُعَدِّلَ متدخلاً كيما يقدِّم لنا غير المكرَّر، والمتشابه... فنلك وظيفة قد يقوم بها المستمع، والمحلِّلُ الغائِصُ في التعقب والتحرّي لكشف المظمور واللاواعي، المظلم والبور، المشوَّش والمضطرب. الخشية، في صياغة الأسرودة، تكون بخاصة من التشويه والتعديل والإسقاط (را: علم نفس الشهادة).

إن كان في هذه الذكريات المؤرَّخة تدفقاً وتراكباتٍ أنقاضٍ أو بقايا وتكويماٍ مكدسة، فلائي لا أنظّم أو أضبط مفضلاً للقارئ نفسه أن يُرتَّب، ويُسَلِّب الأحداث؛ وأن لا يتوتر إن رأى ورود «الخبرية نفسها» في أكثر من مكان؛ أي في أكثر من توظيفٍ واحدٍ لها، وفي أكثر من معنى؛ بل على أكثر من صعيدٍ أو مستوى.

6 - في أواخر السبعينيات، وفي مضممار إعداد حلقات من «موسعة التحليل النفسي للذات العربية...»، ظهرت دراساتٌ نفسية مجتمعية عديدة، وتحليلاتٌ مشكلاتٍ صحية حضارية. اعتمدتُ مناهج كانت مخصوصةً بالمسح العام للواقع والشروط الموضوعية؛ أي للحقول والعوامل والمشكلات أو الانجرافات. ومن بعد هذا المسح الميداني، أو تجميع المعطيات، ظهر عملٌ مناهج قرز الجداول والاحصاء، «وتفريغ» الاستمارات... (را: الدراسة النفسية الاجتماعية بالعيّنة للذات العربية)؛ وفي خطوةٍ ثالثة، كان يُعمل على استخراج وصوغ قوانين عامة هي شبه روابط أو صلاتٍ وخبوط ناظمة (را: الشخصية الغرارية، كشاهد).

بموجب تلك المناهج درسنا موضوعاتٍ كان عنوان الأخير منها «مبحثٌ قوانين الإضحاك كما النكتة وأخواتها». أما الموضوعات الافتتاحية فكانت الانتقال والتحوّل، في الستينيات الناصرية، من استعمال الحطب إلى قنبلة الغاز، ومن الطراحة والجسند إلى الكرسي و«الكتابة» والصوفا (= الأريكة)، ومن الجرّة يُنقل بها الماء من النبع إلى



حقبة المنزل... وهناك أيضاً: السيارة، الطبيب، المدرسة الرسمية، البلدية، النقابة، الحرية، الوظيفة الحكومية، الكهرباء، التلفزيون، البنطلون، الزي، المرأة العريضة... وكان آخرها الدراسة الميدانية للعلاقة الإناسية بين الإنسان والله، بين النفس والقلوب.

7 - أما المناهج الأخرى، بعد المناهج التجريبية والتجريبية (= الأمبيريقية، الأميركية، المعتمدة في المدرسة الأميركية في علم الاجتماع)، فكانت مناهج استكشاف اللاوعي والغوريات، المتخيل والاستعاري أو الميثي والايماي... كما كانت معتمدة أيضاً المناهج الفلسفية والمعتمدة العاملة في العلوم الانسانية كالتاريخ والاسية، الإناسة والتربويات... والأهم، في قطاع المنهجيات هذا، كان الإصرار على الحرمان الطرائق التوفيقانية والتلفيقانية، غير التاريخية، الإسقاطية الخ.

سينا إلى تارخة «ستين عاماً» من عمر فرد أكاديمي النشاط والإنتاج أو الشغل، يتكلم مع سبل التارخة الاجتماعية والعامية لمجتمع أو فكر، لمؤسسات ثقافية ومساحة من الزمان والتطور والجغرافيا... بحسب هذه «القواعدية»، بحسب مبادئ العمل هذا أو حيواته وقوامه و«فلسفته»، كتبنا على شكل فقرات معظم الفصول التالية من هذا الكتاب. الفقرات النفسو - فلسفية الواردة، أدناه، تعبيرات عن تجارب ذاتية؛ لكنها أيضاً تعد موضوعية بسبب أنها تخص كل إنسان مرّ بمثل تلك التجارب؛ وشعر بتلك المشاعر أو العواطف، والميول كما الانفعالات. إلى ذلك، إنّ الفقرات - الأفكار الواردة هنا مقولات هي، بالتالي، محلية وعامية، فردية وجماعية، تووب إلى السيرة الذاتية وإلى التارخة للمجتمع والفكر... وهذا كله بمقدارها هي، إلى ذلك، اجتماعية أو فكرية، تربوية أو تنموية، توصيفية أو تعبيرية...

الفقرات هذه هي، إذن، أفكار و سلوكياتي، آرائي ومواقفي - لم أورد سيرة حياتي على النحو المعروف؛ لكن لماذا لم أقصص سيرة حياتي على الغرار المؤلف المأنوس؟ لم أختار هذا النوع الأدبي من فنون الكتابة نافع أو الأصلىح، سديد وحققي... من حقي أن أختار؛ وقد اخترت فن السرد على شكل فقرات متناثرة، مبثوثة شريفة، غير مسبوقة على أخصاص النسق العام وحظائر عمارة أو كلّ مرصوص مستبد. كما اخترت أيضاً الصياغة على شكل أقصوصات، واشتباكات «زملائية» عابرة وعطوية.

8 - سوف يمر أدناه، باحتشام واحترام للذات، أنّ التحليلة أو المعاينة، بجلساتها المفتوحة، لديكارت، على سبيل الشاهد، تعقبت الغوري واللامفصوح، ونقبت في اللاوعي والمتضمن... واحترمت الشخصية الذاتية، والشخصية المعنوية، للصابر؛ لكن وضعت أمام الوعي (= وَعَيْت) «البطلنة» أو الكملنة، الأسطورة كما اللّهوتة التي أحقت بها وغطتها جاعلة منها بطلاً شعبياً أو صاحب سيرة شعبية... لم نهتم، طوال عقود، بتقطيع آراء لاكان (LACAN)، كشاهد آخر، أو ببسطها وتمجيدها. فالأهمية المعطاة لذلك المحلل تتلخص بالاهتمام والانصباب على ما كتبه عنه المفكرون العرب، على علاقاته وأفكاره العائدة إلى الدار العربية؛ ولربما كان القول العربي، في بيروت 1973، عن صحته النفسية أو عن عصابه، والاضطراب أو التزعزع في قوام شخصيته، هو القول الواجب والنافع الانطلاق منه... كما كان طرح نظرية هندية - عربية في علاجه أمراً (= شيئاً، فكرة) سديداً؛ وهي لم تُطرح إلا لآتنا كنا نعرف جيداً خصائصه وغرابة أطواره؛ أو اضطرابه المزاجي، وتقلب شخصيته أو ثنائيتها.

9 - عبر المسار «النصف قرني» لتقديم شخصية ومدرسة داخل الجامعة اللبنانية، داخل الفكر الأكاديمي العربي، سوف نرى، أدناه، الانتقال إلى رؤية جديدة لنفسنا داخل نفسنا، لمعنى وطبيعة الصورة عن الذات داخل الذات العربية... لكأننا، بعد نقد حضاري واستيعاب تحطوي، انتقلنا، تراجعاً واهتداءً، إلى مفاهيم ورؤى مختلفة حول تفسير وفهم وتأويل علوم النفس والفلسفة والتاريخ، علوم اللغة والتحليل والمجتمعات كافة.

10 - سوف نرى أنّ تاريخ الفكر الأكاديمي هو، بحسب المدرسة العربية، لا يذهب، في دراسة علم الاجتماع (على سبيل الشاهد)، إلى إيداء الاعجاب والتقدير إلى دوركايم أو ليفي - برون، وإنما إلى بوغليه أو أسيرنويه... ذلك أنّ المدرسة العربية، وعبر مسارها منذ الستينيات، غيرت في التعاملية المحلية - الفرنسية، أي في العلاقة بين فكرين أو موقعين داخل تاريخ العلم. لقد تغير خطاب العقل، داخل المدرسة العربية، ومحاكمته أو قوله في العقل الأوروبي؛ وجرى التحول والانزياح إلى القول بدار عالمية للعقل والتاريخ والعلم والفن، وإلى القول بالتواصلية الأفقية التفاهمية، وإلى التفاعلية بين أحرار مختلفين ومتساوين داخل المسكوني والكوني، داخل العالمية والعالمية.



11 - يضع الاستراتيجيا، ويعيد بتواظب صقل العقل الاستراتيجي، للأننا داخل المجال، أنوارُ ونُسُحُ حقول علم النفس واختصاصاته ومهنة مجبولة مع الفلسفة والمواكبات الفكرية لثنتي العلوم الانسانية المجتمعية. وما هي الاستراتيجية إن لم تكن عنها التكييفانية، التغييرانية، الصحة الحضارية، الاقتصادية والمعرفية، للمواطن والأمة والوطن داخل الدار العالمية؟

12 - نُظهِرُ السَّيرَةَ الذاتية للفرد أو للعقل الجامعي، متكافئة مع التأرخة العامة للمجتمع والسياسة، أنه لم توجد أمة، داخل أوروبا الغربية، المكتظة بالسكان، لم تُوظف المعرفة من أجل استغلال الأمم التي كانت متخلفة في حقول المعرفة. بالمعرفة حرّبت المدرسة العربية، عبر سيرتها ومسارها منذ الستينيات، سلطة الجارح. فالمعرفة سلاح عظيم بيد الراغب في الامتداد والسيطرة، في مراكمة وزيادة الثروة، وتحقيق المنفعة، وتأمين المصالح.

لقد ظهر جلياً أنّ سلاح البشرية الأسرع والأقدر، الأنفع والأصلح، لم يكن سوى المعرفة المشججة في الجامعة، في المراكز المتخصصة المكرسة، في سياسة القولة الساعية إلى أن تكون دولة الصحة الحضارية للشعب، دولة المواطنة، دولة المؤسسات، دولة المدنيات، وحيث المصالح الاقتصادية الأمتية مستقلة غير مستتعبة ستلحقة، والتنمويات الاجتماعية، الاقتصادية أصلاً وفصلاً، متواصلة ومتوازنة، سياسية ومتلاقحة، شمالة أجمعية، عامّة وحرّة.

\*\*\*

1 - الفلتان في موضوع المصطلحات، في صوغ اللفظة المصطلحية أو صُنع المفردات التقنية العائدة إلى الحقول المعرفية المضطربة، قد يشابه أو يُقرأ على بساطٍ واحدٍ مع حالة مَرَضِيَّة هي كحال فقدان الكلام أو انحباسه (را: الأفازيا). هنا تندلع تَكَرُّرٌ حادثة جامعية داخل قسم الإجازة: حَدَّثَ أَنَّهُ لَمْ يَمَانعَ أَحَدٌ فِي تَخْصِيصِ سَاعَةٍ عَاطِلٍ مَقْرَرٍ بَعْضَ الْمَوَادِّ (علم النفس، الفلسفة، الألسنية) من أجل تدريس مادة اسمها «المصطلحات النفسية والفلسفية والتربوية». وكان علينا الاسراع في الأمر، ليس فقط من أجل دعم الانتقال إلى التدريس بالعربية وإشباع مشاعر وانتماءات أمتية (وطنية،

قومية وغير مقبولة؛ بل أيضاً من أجل تعميق الاقتناع الذاتي، وبث إقناع المناوئ كما الجارح، وبالتالي من أجل إبعاد الذئب اللغوي الكاسر، المستولي على التدريس الجامعي في لبنان (را: ثورة الطلاب الضعفاء بالفرنسية؛ الرحيل إلى الشهادة الثانوية في سوريا ومصر؛ تأسيس الجامعة اللبنانية وبخاصة الجامعة العربية كفرع لجامعة الاسكندرية).

2 - التجربة العربية في أتون المصطلحات وقعت في بعض المهاوي والانفلات على المسيح والمغلق والتعصب... في عبارة أوضح وأنضح، إن المبالغة في نحت كلمات تقنية بواسطة الإلصاق، أو بصهر لفظتين في لفظة واحدة، قد تكون غير سديدة، منقّرة ومكفّرة. تُقرّ بذلك؛ والأزود هو أن تلك الظاهرة اللفظية التي طرحناها وعشناها موحية بأنها توجد أيضاً عند الطفل والهدائي، والآخذ بتعلّم لغة غريبة عليه؛ هنا الصابر يخلّق كلمات؛ وي طرح كلمات مشوّهة خاصة به، غريبة (را: الإسهال اللفظي، في: زيعور، معجم الطب النفسي...<sup>(1)</sup>).

3 - أشكر الدكتور جمال تركي؛ شكراً كثيراً وجزيلاً. وإلى أستاذنا الدكتور عبد الستار إبراهيم ألف تحية وتحية؛ وامتنانات.

(1) بعض الفقرات الواردة، أدناه، مُستلة من أجموعاتي سبق نشرها؛ وبعضها أعدّه الدكتور إيد علي زيعور (أستاذ في الجامعة اللبنانية)... لكن معظمها هو مُعاد الصوغ والصقل؛ وما قد يبدو ضمن هذا الكتاب مكرراً هو، في الواقع والحقيقة، نظرة أخرى، أو تنويعاً على اللحن الواحد، أو إعادة الإدراك بتدقيق، وإعادة ضبط.



## علم من اعلام علوم النفس العربي



علم النفس العربي هو أصل الحق

المعلم زيعور في المدرسة العربية في التحليل النفسي وفضائها الفلسفي

1- بدأ باكراً بإنشاء أحاديث إذاعية، وكتابة مقالات "جرائدية" و "مجلاتية" في التحليل النفسي، والصحة النفسية؛ وهي "علم النفس في خدمة الفرد والمجتمع والفكر".

2- أعدّ بالاشتراك مع سمير شيخاني، داخل دار الإذاعة اللبنانية، قسم البرامج الثقافية، ما يقارب الـ 20 اختياراً مقصوداً التحليل النفسي الذاتي، أو معرفة الإنسان نفسه بنفسه، واكتشافه عن طريق الاستبطان والاستبطان المستحث لتمتد شخصيته وتواصلته، وعيه وسلوكه، اضطراباته وتوتراته وانجراداته.

3- طرح اختبارات متنوعة، لكن بلا متابرة وتدأوية، في معرض الحقل الأدبي، كشاهد، داخل المدرسة العربية في التحليل النفسي؛ من نحو: راثعذ المصطلحات، راثعذ المفاهيم "الحضارية" الكونية، راثعذ تحليل العناوين... هنا، كمثل، أظهر راثعذ الأعضاء الجسدية، داخل ديوان لثزار قباني، اسم العضو بل الأعضاء الأبرز؛ وذلك ما أوصل إلى اكتشاف المكبوت والمطمور، اللاواعي والهاجع، وذكريات دفينه منسية عن الطفولة والجنس والخلي، عن الأم والأب والهوامي.

4- في مطالع السبعينيات الفائتة كان قد نجح في ترسيخ القول بكيان مستقل مكرس للمدرسة العربية في علم النفس داخل الدار العائمية، ومن ثم في التحليل النفسي؛ وهي التربويات وعلم نفس النمو والتطور.

5- أصدر داخل الجامعة اللبنانية الكتاب الأول في: مذاهب علم النفس والفلسفات النفسانية؛ وفي تاريخ علم النفس، وفي التحليل النفسي، ومن ثم في التحليل النفسي ومعجم الطب النفسي والرموز لذات العربية.

6- نجح "مشروع إعادة الإدراك والتعضية..." في توهيج التحوّل والتغير أو الإنزياح والإهداء إلى قيم المحبّوبة والأخرفانية، التراحمية والتكافئية، وإلى التآجج الموسّع المعمق لحقوق الناس (= الانسان المنغرس المتجذّر) على صعيد الأنا والأنث ضمن النحناوية، وفي تفاعلية مع الطبيعة والمجتمع والتاريخ.



مؤسسة العلوم النفسية العربية

د جمال التركماني

أمين عام

اتحاد الأطباء النفسيين العرب

ISBN 978-614-004-644-0



9 786144 046449